علاج الانحراف الفكري

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والإيمان، ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إن نعمة الإسلام نعمة من أجل وأعظم النعم، ويجب على كل المسلمين أجمعين أن يحمدوا الله تعالى ليلاً نهاراً على تلك النعمة والمنَّة العظمى، فإن من أعظم نِعَمِ الله على عباده نعمة الهداية لهذا الدين، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات:١٧].

فإن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الأديان وأفضلها فله الحمد في الأولى والآخرة على نعمة هدايتنا له لما لهذا الدين من المحاسن والكمال والرحمة والعدل، ولن تستقيم أمور البشر إلا باتباع تعاليمه السمحة، لأن الأصل في منهج الإسلام القائم على هدي القرآن والسنة النبوية الاستقامة والوسطية والاعتدال والعدل، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ**»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1].

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

وعَنْ عَبْدِاللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا**»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾[1].

(هذه السُّبُلُ ليس منها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه) أي: هذه الطُّرُقُ المخالِفةُ لطريقِ اللهِ، طرق ليست بالطريق المستقيم الذي أمر الله ورسوله به، ويقِفُ على كلِّ طريقٍ من تلك الطرق شيطانٌ يُغْوِي ويُوَسْوِسُ؛ لإضلالِ الناس، الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بَيَّن لعباده الطريق المستقيم الذي به نجاتهم، وحذر من تلك الطرق الملتوية التي تؤدي إلى الهلاك، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: أي لا اعوجاج به، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ يقولُ: ولا تسْلُكوا طريقًا غيره[2].

واليوم نتحدث في هذا الدرس عن دواء لمرضٍ استشرى في هذا الزمن، من المهم الكلام عن هذا المرض العضال لأنه أصاب شريحةً ليست بهينةٍ من الناس؛ ولكي نأخذ بأيدي من أصابهم هذا الداء فيعودوا للاستقامة والاعتدال الذي ارتضاه لنا ربنا طريقاً ومنهاجاً بلا غلو أو تفريط، هذا الداء يسمى بالانحراف الفكري، ومن ثم نبحث عن طرق علاج هذا الداء، وكذلك كيفية الوقاية منه، أعاذنا الله والمسلمين أجمعين منه، فنبدأ سائلين المولى جَلَّجَلَالُهُ الإعانة والسداد والقبول، والفهم، ونبذ التعصب، والتسليم التام للأحكام المستمدة من الكتاب والسنة النبوية، وأن يرزقنا الله أجمعين الاتباع لا الابتداع، والانقياد للحق لا للهوى، اللهم آمين.

الانحراف: هو الميل والعدول، يقال :انْحَرَفَ عنه وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ، أي مال وعدل[3]، وحَرَفَ الشيء عن وجهه أي صرفه[4]، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال انحرف[5]، وانحرف بمعنى مال[6].

والمراد بالانحراف هنا: الميل والعدول عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله جَلَّجَلَالُهُ في كتابه، وجعله منهجاً للحياة يسير الناس عليه.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧/٤٣٦) برقم (٤٤٣٧)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/٢٢٨).

(٣) الصحاح تاج اللغة للجوهري (٤/١٣٤٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي (٣/١٢٧).

(٥) لسان العرب لابن منظور (٩/٤٣).

(٦) المعجم الوسيط (صـ١٦٧).

الله جَلَّجَلَالُهُ خلق الخلق ليعبدوه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وبيَّن لعباده كيف يعبدوه والعبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصةً لوجه الله وموافقة لهدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ، ومن فضل الله أن جعل أمة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ متسمة بالوسطية، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ: **"وهذا من فضل الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وكرمه جلَّ وعلا أن جعل هذه الأمة خيرَ الأمم وأكرمها على الله عَزَّوَجَلَّ وجعلها وسطًا يعني عدلاً خياراً، تقبل شهادتها على الناس يوم القيامة، تشهد هذه الأمة لجميع الرسل الذين قد بلغوا رسالات ربهم وبلغوا أممهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ "**[1].

والله عَزَّوَجَلَّ كذلك خلق الإنسان سويًّا، سليم الفطرة، لا يميل إلى الانحراف، ودليل ذلك قوله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣٠-٣١]، وكذلك ما ورد في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ: **«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»** ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[2].

الفطرة هي الحنيفية، قال ابن قيم الجوزية رَحِمَهُٱللَّهُ: **"وَالصَّحِيحُ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ أَنَّهُمْ وُلِدُوا حُنَفَاءَ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، بِحَيْثُ لَوْ تُرِكُوا وَفِطَرَهُمْ لَكَانُوا حُنَفَاءَ مُسْلِمِينَ، كَمَا وُلِدُوا أَصِحَّاءَ كَامِلِي الْخِلْقَةِ، فَلَوْ تُرِكُوا وَخِلَقَهُمْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَجْدُوعٌ، وَلَا مَشْقُوقُ الْأُذُنِ. وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرِ النَّبِيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ **لِذَلِكَ شَرْطًا مُقْتَضِيًا غَيْرَ الْفِطْرَةِ، وَجَعَلَ خِلَافَ مُقْتَضَاهَا مِنْ فِعْلِ الْأَبَوَيْنِ. وَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓاٰلِهِۦوَسَلَّمَ **فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ** عَزَّوَجَلَّ: **«إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»، فَأَخْبَرَ أَنَّ**

---

(١) موقع الشيخ رحمه الله، https://cutt.us/4kfbu

(٢) متفق عليه.

تَغْيِيرَ الْحَنِيفِيَّةِ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا بِأَمْرٍ طَارِئٍ مِنْ جِهَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَوْ كَانَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ مَفْطُورِينَ عَلَى الْكُفْرِ لَقَالَ: خَلَقْتُ عِبَادِي مُشْرِكِينَ، فَأَتَتْهُمُ الرُّسُلُ فَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ ذَلِكَ، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ»؟ فَهَذَا الْقَوْلُ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١).

إنَّ الصفة الفطرية الأساسية هي الاستقامة والسلامة، فصرحت النصوص كذلك بأن كل الناس من جميع الأجناس يولدون على هذه الفطرة أول ما يولدون، ثم تأتي المؤثرات الخارجية من جميع الجهات لتفتك به، وتنقله من الفطرة السليمة إلى شتى أنواع الانحرافات، وهذا من الابتلاءات التي يمتحن الله بها عباده، فَيَثْبُتُ أصحاب النفوس السليمة، وتَزِلُ أقدامُ أصحاب النفوس الخبيثة، فيقعون في مزالق تلك الانحرافات، وينجرفون إلى مستنقعات البدع والخزعبلات البعيدة كل البعد عن الدين الصافي النقي المستقيم الذي أنزله الله على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، نسأل الله الثبات على الدين حتى الممات، وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الانحرافات قد تكون عقدية وقد تكون أخلاقية، وحديثنا اليوم تحديداً عن الانحراف الفكري الذي هو من أضر الانحرافات، ولقد وردت أدلة كثيرة في النهي عن الانحراف الفكري، وهذا يدل على خطورته، فالفرق المنحرفة فكرياً أو الأشخاص المنحرفون فكرياً، يتكلمون باسم الإسلام، والإسلام بريء منهم، لذلك كان ولابد من التحذير منهم، وتعريف الناس بضلالاتهم، ورد الأباطيل والشبهات التي يضللون الناس بها والسموم التي يدسونها بالعسل، حمايةً للمجتمع منهم، يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:١٨-٢٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"يُخْبِرُ تعالَى أَنَّهُ تَكَفَّلَ بِإِحقَاقِ الحَقِّ وإِبطَالِ البَاطِلِ، وإِنَّ كُلَّ بَاطِلٍ قِيلَ وَجُودِلَ بِهِ، فإِنَّ اللهَ يُنزِلُ مِنَ الحَقِّ وَالعِلمِ والبَيانِ مَا يَدْمَغُهُ، فَيَضْمَحِلُ، وَيتبيَنُ لِكُلِ أَحَدٍ بُطلَانَه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: مُضمَحِلٌ، فَانٍ، وَهَذا عَامٌ في جَمِيعَ المَسائِلِ الدِينيَّةِ، لا يُورِدُ مُبطِلٌ شُبهَةً، عقليةً ولا نقليةً، في إحقَاقِ بَاطِلٍ أو رَدِّ حَقٍّ، إلا وفي أَدلَّةِ اللهِ مِنَ القَواطِعِ العقليةِ والنقليةِ ما يُذهِبُ ذَلكَ القولَ البَاطِلَ ويَقمَعُهُ، فَإذا هُو مُتَبيِّنٌ بُطلَانَهُ لِكُلِّ أَحدٍ"**(٢).

فالجميع رجالاً ونساءً علينا أن نبرز الحق، ونحمي المجتمع، وخاصةً الشباب منهم من هذا النوع من الانحراف، لما لهذا النوع من الانحرافات من مفاسد عظيمة على دين الفرد، فيمرق من

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/١٠٧٠).

(٢) تفسير السعدي (صـ٥٢٠).

الدين بسببه، ويقع في كبائر الذنوب بسببه، وبالتالي يخسر الدنيا والآخرة، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، كما أخبر الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

لأن ضررهم عظيم، فالمنحرفين فكرياً ضررهم لا يقتصر على مستوى الأفراد بل على المجتمع والبلدان، فوالله ما تمزقت الأمم إلا بسببهم، وما دارت الحروب إلا بسببهم، وما انتكست الفطر إلا بسببهم، وما عمَّ الشر إلا بهم، وما انعدم الأمن وحل الفقر، ونزوح الناس عن بلداهم بعد أن كانوا مستقرين آمنين في بلداهم، نراهم وقد خرجوا من ديارهم تعلو وجوههم الذلة، ويعانون القهر والفقر والعوز بسبب هؤلاء المنحرفين فكرياً، كلنا رأينا بأم أعيننا وسمعنا عن ما حدث لتلك البلدان التي من حولنا بعد ما انغر كثير من الناس بالشعارات الرنانة التي حملها المنحرفون فكرياً، والتي الآن يتجرعون منها الويلات، ويعانون من الحسرات بسبب انجرافهم لتلك الأفكار والشعارات التي دست السم بالعسل، فظنوا أنهم سيعيشون في هناء، وإذا بهم يقاسون أحداثاً مؤلمة، من تكفيرٍ، وتفجيرٍ، وتدميرٍ للمنشآت، وسفكٍ للدماء المعصومة، وتعدٍ على الأموال والأعراض، وخروجٍ على الجماعة والحاكم، وتفريقٍ للكلمة، وزعزعةٍ للأمن، وتسلطٍ أكثر من الأعداء، وفوق كل هذا تشويه لصورة الإسلام والمسلمين، والله المستعان.

فأنا وأنتِ والجميع علينا التصدي لهم قبل أن يحل علينا ما حل بهم، علينا أن نبين للناس عوارهم حتى لا تغرق سفينة المجتمع من خلال هؤلاء المنحرفين فكرياً، علينا أنا وأنتن أن نكون مغاليق للشر، نبني ولا نهدم، ننشر ونبين معنى الوسطية والاستقامة بين الناس ونحذرهم من الغلو والتطرف.

سبب نشأة هذا النوع من الانحراف:

البيئة التي يعيش فيها الفرد أو الظروف التي يتعرض لها الإنسان تنقله من شخص سوي الفطرة إلى منحرف فكري، قد يتشرب الأبناء من والديهم المنحرفين هذا الفكر الضال، أو يتشربه من دعاة الضلالة، دعاة الشر، دعاة السوء الذين حذر وخاف علينا منهم رسولنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، فعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ**»، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ

يَـدْخُلَ، قُلْـتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ، أَيُّ شَـيْءٍ أَخْـوَفُ عَلَـى أُمَّتِـكَ مِـنَ الـدَّجَّالِ؟ قَـالَ: «**الْأَئِمَّـةَ الْمُضِلِّينَ**»[1].

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**(الْمُضِلِّينَ) المائِلينَ عَنِ الحَقّ، المُميلينَ عَنهُ..والإمامُ في العَلَمِ قَد يَقعُ في شُبهةٍ ويعتَريهِ زلةٌ فَيَضِلُّ بِهوىً أو بدعةٍ فَيتبَعُهُ عَوامُ المسلمين تقليداً**"[2].

إن نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ نبيّ الرحمة؛ لم يترك من الشر شيئاً إلا وحذرنا منه، ولم يدع من الخير شيئاً إلا وحثنا عليه، وقد خاف على أمته من صفات وأخلاق وأعمال، تكون من بعده، فبينها ووضحها، كما خاف عليها من رجالٍ أشرارٍ، فذكرهم بأسمائهم، أو وصفهم بأوصافهم، تحذيراً للأمة من شرهم، وتفادياً لمكرهم وكيدهم.

قَـالَ أَبُـو عُثْمَـانَ النَّهْـدِيُّ: سَمِعْـتُ عُمَـرَ بْـنَ الْخَطَّـابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَهُـوَ عَلَـى مِنْـبَرِ رَسُـولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ: "**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنَافِقَ الْعَلِيمَ**"، قَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ مُنَافِقًا عَلِيمًا؟ قَالَ: "**عَالِمُ اللِّسَانِ، جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ**"[3].

قال المنـاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**(كُـلَّ منـافِقٍ عَلـيمَ اللِّسَـانِ) أي: عـالمٍ للعلـمِ منطلـقَ اللسـانِ بِـهِ، لكنَّهُ جَاهِلُ القَلبِ، فاسِدُ العقيدةِ، يغرُّ النَّاسَ بِشَقْشَقَةِ لِسَانِهِ، فيقعُ بسببِ تباعِهِ خَلقٌ كثيرٌ في الزَّلَلِ**"[4].

خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ طُولُ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُضِلُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةُ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ**"[5].

المنحرفون فكرياً: هم الذين يتجاوزون حدود ما شرع الله، ظناً منهم أن ذلك يقربهم إلى الله، ولخطر هؤلاء على الأمة جاءت نصوص من الكتاب والسنة عنهم وعن صفاتهم وحذرت منهم، وذلك لخطر هذا النوع من الانحراف، لأنهم يزعمون أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، ويسعون سعياً مستميتاً لنشر منهجهم المعوج بألسنتهم وبطرقهم المعوجة، ويوهمون الناس بأنهم المتمسكون

(١) رواه أحمد في المسند (٣٥/٢٢٢)، برقم (٢١٢٩٧).

(٢) فيض القدير (٢/٥٦٣).

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/٦٣٢).

(٤) فيض القدير (١/٢٢١).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (١٣/١٧٣).

بالشرع، هم في الحقيقة سمتهم التدين حتى أن الواحد يحقر صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم فينخدع الناس بهم، وينجرف البعض ورائهم حتى يصل الأمر بالمنخدعين بهم إلى قتل أهل الإسلام، وزعزعة الأمن، وغيرها من البلايا، لذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أخبر بمشروعية قتلهم وقتالهم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١)؛ لما يترتب عليهم من الشرور.

أوضح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن سبب أمره بقتلهم، وهو أنهم «**يَقْتُلُون أهلَ الإسلامِ، ويَدَعُون أهلَ الأَوْثانِ**»(٢)، وهذا من عجائب الأفعال؛ أنَّهم يَدَّعونَ الإسلامَ ويقتُلونَ أهلَه، ويَدَّعونَ مُخالفةَ أهلِ الكُفرِ ولا يُقاتِلونَهم.

فالله أمر بالتمسك بالكتاب والسنة، ونهى عن الغلو والتشدد، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الزخرف:٤٣]، يقول جَلَّ جَلَالُهُ لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "**فتَمَسَّك يا محمَّد بما يأمُرُك بِهِ هَذَا القرآنُ الَذي أَوحَاهُ إليكَ ربُّكَ، ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ومنهاجٍ سديدٍ، وذلكَ هوَ دينُ اللهِ الذي أمرَ بِهِ، وهوَ الإسلام**"(٣).

فمن ترك هذا الطريق وانحرف عنه فهو هالك، وهؤلاء بالحقيقة أعداء الإسلام، منهجهم ليس بسديد، بل منهجم متشدد، لا يوافق منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

من صفات المنحرفين فكرياً:

-**ادعاء بعضهم التدين في الظاهر**، ليستميلوا قلوب الناس، لأن العوام من الناس على الفطرة، يحبون الدين، ينقادون إلى أهل الدين لحبهم لله ولرسوله، ولكن للأسف ليس عند البعض حصانة عقدية تحميهم من هؤلاء ومن أفكارهم، فينجذبون إليهم اعتقاداً منهم أنهم هؤلاء هم أهل الدين، والدين منهم بعيد.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٦١١).
(٢) متفق عليه.
(٣) تفسير الطبري (٢١/٦١٠).

قد يكونوا من أهل الصيام والصلاة وتلاوة القرآن، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال، إلى درجة الغلو والتشدُّد، حيث قادهم هذا التشدُّد إلى مخالفة قواعد الإسلام، واتباع قاداتهم لا نبيهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

عبدالرحمن بن ملجم –قبحه الله–، كان عبداً زاهداً ورعاً، فهذا الزاهد العابد الورع محفظ القرآن وحافظه لقد قتل من؟ قتل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بضربة سيف، كان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ابن عم رسول الله وأحد الخلفاء الراشدين وأحد المبشرين في الجنة وزوج ابنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، أبا الحسن والحسين سيدا أهل الجنة، قتله هذا المنحرف عندما كان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قائماً ليصلي صلاة الفجر، والعجيب قتله وهو يردد قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾، قتله تعبداً لله قبحه الله، وكانت هناك علامة –أثر– على جبهته من كثرة السجود!

هذا وغيره من أولئك الذين تبدوا علامات الهداية في وجوههم ويتلون القرآن في الليل والنهار، هم بالأصح يحاربون الدين وأهل، هؤلاء أشدُّ الناس خطرًا على الإسلام والمسلمين.

– **قتل أهل الإسلام:** جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصفهم: «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**». ما قاتلوا أهل الإسلام إلا لأنهم كفروهم فاستحلوا أموالهم ودمائهم.

– **إن من كبرى آفات المنحرفون الجهل بالكتاب والسُّنة**، وسوء فهمهم، وقلة تدبُّرِهم، وتعقُّلِهم، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة، وكان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يراهم شرار خلق الله، وقال: "**إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين**"، وكان ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا سُئل عن الحرورية؟ قال: "**يُكفِّرون المسلمين ويستحلّون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عُدَدِهِم، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج، فلا أعلم أحدًا أحق بالقتال منهم**".

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أنَّ الْخَوَارِجَ لما حكمُوا بِكفْر من خالفهم استباحوا دِمَائِهِمْ وَتَرَكُوا أَهْلَ الذِّمَّةِ، فَقَالُوا: نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَتَرَكُوا قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ، وَاشْتَغَلُوا بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ آثَارِ عِبَادَةِ الْجُهَّالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْشَرِحْ صُدُورُهُمْ بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا**

بِحَبْلٍ وَثِيقٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَكَفَى أَنَّ رَأْسَهُمْ رَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَمْرَهُ وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْرِ، نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ"[1].

وقال عنهم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **"هم جُهَّال فارَقوا السُّنة والجماعة عن جهل"**[2].

وبهذا يتبيَّن أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرضٌ عضال، يُهلِك صاحبه من حيث لا يشعر، بل قد يريد الخير فيقع في ضده.

- **تنفير الناس عن الدين:** نفروا الناس بسبب وسائلهم المخالفة للسنة النبوية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي دعوة الناس المتسمة بالغلظة والتنفير والاستهزاء واستحقار كل من خالفهم.

علماء السُّوء أو دعاة السوء هم بالحقيقة يزهِّدون الناسَ في الدنيا ولا يزهَدون، ويخوِّفون الناس ولا يخافون، ويعلمون أحكامَ دِينهم وهم لها مخالفون، هؤلاء يفهمون قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[3]، فهماً خاطئاً، يفهمون النصوص كما يريدون، يلزمون الناس على التزام المعروف كما يريدون، ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ضوابط وضعوها هم لأنفسهم لا تمت للدين من صلة، لذلك نفروا الكثير من الناس عن الدين عاملهم الله بما يستحقون.

- **شق عصا الطاعة:** قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: **"فهؤلاءِ أصلُ ضَلالِهم: اعتقادهم في أئمةِ الهدى وجماعةِ المسلمينَ أنَّهم خارِجونَ عَنِ العَدلِ وأنَّهُم ضَالُّونَ، وهذا مأخذُ الخارجينَ عنِ السنَّةِ مِنَ الرَّافضةِ ونحوِهم، ثم يعدُّونَ ما يرونَ أنَّهُ ظُلمٌ عندَهُم كُفراً، ثم يُرتِّبونَ على الكُفرِ أحكَاماً ابتَدَعُوهَا"**[4].

---

(١) فتح الباري (١٢/٣٠١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٣/٤٦٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٩٧).

- **التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم**: فمن سماتهم الظاهرة عند البعض التطرف والتكفير والعنف، فمن أسهل ما يكون عندهم تكفير الناس واخراجهم من الملة، ومن ثم قتالهم وسفك دمائهم.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**والفَرقُ الثَّاني في الخوارجِ وأهلِ البِدَعِ، أنَّهم يُكفِّرونَ بالذنوبِ والسيئات، ويترتَّبُ على تكفيرِهم بالذنوبِ استحلالَ دِماءِ المسلمينَ وأموالِهم، وأنَّ دارَ الإسلامِ دارَ حربٍ، ودارَهُم هي دارُ الإيمانِ، وكذلكَ يقولُ جمهورُ الرَّافضةِ**"[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**فَجعَلُوا يَقْتُلُونَ النِّسَاءَ وَالْوِلْدَانَ، وَيَبْقُرُونَ بُطُونَ الْحَبَالَى، وَيَفْعَلُونَ أَفْعَالًا لَمْ يَفْعَلْهَا غَيْرُهُمْ**"[(٢)].

- **طعن وتنفير الناس بالعلماء الربانين**: من المعلوم إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وأفضل الخلق بعد الرسل؛ وروي عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "**لحوم العلماء مسمومة؛ من شمها مرض، ومن أكلها مات**"[(٣)].

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**كَفَى بالمرءِ خِيانَةً أَنْ يَكُونَ أَمينًا للخَوَنَةِ، وَكَفَى المرءَ شَرًّا أَلَّا يَكُونَ صَالحًا، وَيَقَعُ في الصَّالِحِينَ**"[(٤)].

هؤلاء خلقوا فجوة بين الناس وبين العلماء الأكابر، فمن انساق وراء هؤلاء الضُّلال في سب العلماء -**الأكابر** - فإنه عرضة لحرب الله عليه: ففي الحديث الذي رواه البخاري أن رب العالمين قال في الحديث القدسي: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ...**» الحديث.

للأسف نسمع من ينعت العلماء الأكابر بعلماء السلطة، علماء الحيض والنفاس، علماء الدولة، جامية، ربيعية، لا يفقهون بالواقع، وغيرها من النعوت، نسأل الله السلامة والعافية، بل ويتباهون بتلك الجرأة عليهم وكأنها من البطولة والشهامة، قبحهم الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩].

وليس كل عالم لا يُحذر منه، فمن حاد عن الطريق المستقيم، وترك سبيل سيد المرسلين، وجب التحذير منه، حتى لا يغتر الناس به، ولا يُلتَفَت للشبهة التي يثيرها هؤلاء حينما يُحَذَّر من

(١) مجموع الفتاوى (١٩/٧٣).

(٢) البداية والنهاية (٨/٣٢٣).

(٣) المعيد في أدب المفيد والمستفيد (صـ٦٠).

(٤) صفة الصفوة (٢/١٦٧).

مشايخهم فيقولون: "لحوم العلماء مسمومة"، هذا كلمة حق أريد بها باطل، فهل يعقل أن نُجِلَّ من أو نـدافع أو نسكت عـن مثل هـؤلاء بحجَّة أنَّ "لحـوم العلمـاء مسـمومة"؟ أبـداً، بـل الواجـب بيـان حالهم، والتحذير منهم.

سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: حينما ننتقد بعض دعاة السوء ببيان باطلهم وننكر النصوص الشرعية على بطلان أقوالهم؛ يحتجون علينا بأن لحوم العلماء مسمومة وأن الكلام فيهم من الغيبة.

فأجاب الشيخ: "**بيان الحق واجب، وبيان الخطأ واجب، وليس هذا من أكل لحوم العلماء، بل هذا من بيان الحق والنصيحة، ما هو من أكل لحوم العلماء، أنت ما تتكلم بأشخاصهم، أنت تتكلم بأخطائهم تبين الحق فيها**"[١].

وقال الشيخ عبيد الجابري حفظه الله: "**إن هذه المقولة (لحوم العلماء مسمومة) من المقولات التي يريد بها الحقَّ أُناسٌ ويريد بها الباطلَ آخرون، فالحركيون...ودعاة الحزبية، يلوونها إليهم ويرفعونها في وجه كل من يتصدى لهم، كاشفاً لانحرافهم، فيقولون: (لحوم العلماء مسمومة)، ويعنون أنفسَهم ورموزَهم وقاداتَهم، ومرادهم أن لا يُرَدَ على أحد...حتى يخلوا لهم الجو، فيوجهوا الناس كما شاؤوا، ويقودوهم إلى البدع والانحراف والضلال وتفريق كلمة هذه الجماعة، جماعة أهل السنة والأثر...وأهل السنة يرفعون هذه الكلمة في وجوه المبتدعة دفاعاً عن أئمة الهدى وأئمة الحق، فلحومهم مسمومة، بلا شك، أما أهل البدع والضلال والانحراف، فلحومهم لا كرامة لها، ونحن حينما نرد على هؤلاء، لا نرد عليهم لذاتهم ولا لأشخاصهم، لكن لما نشروه بيننا من الانحراف والجهالات والضلالات، ولما أشاعوه من الفرقة، بركوبهم البدع، فلا كرامة لهم حتى يعودوا إلى الحق والسنة**"[٢].

- **من سماتهم أيضاً**: الغلو والتنطع في الدين، المسارعة في التكفير، الإرهاب والتفجير والقتل، التعصب، التقليد الأعمى لرؤوسهم، الجرأة على الفتوى، الغلظة في التعامل، الطعن في العلماء والتشنيع على من يخالفهم، ادعاؤهم أنهم أصحاب الفهم الصحيح للدين والمخلصين لتطبيقه وغيرهم كفار لا يفقهون في الدين، تبرير أفعالهم وأحكامهم بغايتهم.

---

(١) صوتية للشيخ، https://cutt.us/1MtNu

(٢) صوتية للشيخ، https://cutt.us/IVr6R

طرق العلاج لمعضلة الانحراف الفكري:

ويكمن علاج الانحراف الفكري في النقاط الآتية:

١ – الرجوع إلى الكتاب والسنة: إن التمسك بالكتاب والسنة هو النجاة، هي العاصم من جميع الانحرافات الفكرية وغيرها، حيث أمرنا الله باتباع الطريق المستقيم ووردت فيه عشرات الأدلة في القرآن التي تؤكد هذا الأصل العاصم من الفتن، ومن ذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

وكذلك وردت العشرات من الأحاديث النبوية في أهمية الرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بها، وتبرأ رسولنا الكريم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن من رغب عن سنته: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[١]، فلا يجوز الرغوب عنها، يقول الحق سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

فوالله ما ظهرت تلك الفرق الضالة المنحرفة ولا كثرت الفتن ولا عمت البدع إلا لجهل الناس بالكتاب والسنة، كما قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ: «**يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «**هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ**»[٢].

فالجهل بوسطية الإسلام واعتدال الإسلام قاد شريحة من الناس إلى الهلاك، فإبراز أهمية لزوم الكتاب والسنة وعدم التقدم عليهما من أهم الأمور لمحاربة ولعلاج هذا المرض الفتاك، يقول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ محذراً أمته وواعظاً إياهم بموعظة ذرفت منها العيون لو تمسك المسلمون بها لنجو من الفتن، فعَن أَبِي نَجِيحٍ العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ مَوعِظَةً وَجِلَت مِنهَا القُلُوبُ وَذَرَفَت مِنهَا العُيون. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوصِنَا، قَالَ: «**أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافَاً كَثِيراً؛ فَعَلَيكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فإنَّ كلّ مُحدثةٍ بدعة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٨٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

وصية النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ بالسمع والطاعة لولاة الأمور، والسمع والطاعة لهم واجب بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، فجعل طاعة أولي الأمر في المرتبة الثالثة ولكنه لم يأتِ بالفعل (أطيعوا) لأن طاعة ولاة الأمور تابعة لطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، ولهذا لو أمر ولاة الأمور بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ فلا سمع ولا طاعة.

وظاهر الحديث وجوب السمع والطاعة لولي الأمر وإن كان يعصي الله عَزَّوَجَلَّ إذا لم يأمرك بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ قال: «**تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ**»(١)، وضرب الظهر وأخذ المال بلا سبب شرعي معصية لا شك، فلا يقول الإنسان لولي الأمر: أنا لا أطيعك حتى تطيع ربك، فهذا حرام، بل يجب أن يطيعه وإن لم يطع ربه، أما لو أمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة.

وجوب التمسك بسنة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ عند الاختلاف، لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ: «فَعَلَيكُم بِسنَّتِي»، والتمسك بها واجب في كل حال، لكن يتأكد عند وجود الاختلاف، فإن اتباع الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً هو العاصم من الفتن ومن الانحرافات بشتى أنواعها، والجهل بالدين يعتبر تربة خصبة لنمو الانحرافات والمعتقدات الفكرية الخاطئة التي تؤثر على الفرد والمجتمع.

٢ - ربط الناس بالعلماء الربانين السائرين على هدي سيد المرسلين، العلماء هم أفضل الناس بعد الأنبياء، مثَلُ العلماء مَثَلُ النجوم في السماء، إن تركهم الناس ضلوا، العلماء ينيروا الطريق للناس، أمرنا الله بالرجوع إليهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لأن العلماء يبثون العلم، والعلم موصل إلى الجنة، لكن التبس الأمر عند البعض، بعض الناس لا يعرف أن يفرق بين أئمة الضلالة وأئمة الهدى! لذلك يجب على الجميع عدم أخذ العلم إلا من العلماء الأكابر السائرين على هدي سيد المرسلين صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓالِهِۦوَسَلَّمَ، وبيان للناس أن ليس كل من قال الله وقال رسوله يؤخذ منه، "**إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ**"(٢)، وليس من وصل متابعيه المليون أو العشرة ملايين يدل أنه على الحق، وليست الشهرة هي المقياس على صلاح الإنسان واستقامته، فما أكثر

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨٤٧).

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن محمد بن سيرين رحمه الله.

هؤلاء المشهورين الذين غرروا الناس بانحرافاتهم وهم يلبسون عباءة من الدين، يستخدمون شعارات رنانة واهية أودت بكثير من الناس إلى الهاوية، يميز العالم من المتعالم باتباعه للدين الصحيح، للدليل من الكتاب والسنة، العالم هو الذي يتبع سلف الأمة، العلماء هم القادة وهم منارات الأرض، العلماء ورثة الأنبياء، لكن للأسف كثر المتعالمون الآن وقل العلماء، كثر أئمة الضلالة وقل أئمة الهدى، كثر الحفاظ وقل الفقهاء، العلماء هم الأكابر، هم الذين شابت لحاهم في طلب العلم، هم الذين أثنوا ركبهم في مجالس العلم، هم الذين لا يبحثون عن الشهرة، ولا يلتفتون إلى الكثرة، العلماء الربانيون هم الذين يقولون لا نعلم فيما لا يعلمون.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: **"العلماء معروفون ما هم خَفِيّين، يعرفهم الناس ويرجعون إليهم ويقتدون بهم، العالِم بيّن ليس بخفيٍّ والمُتَعَالِم بيّن، الذي ما دَرَسَ على العلماء ولا أخذ العلماء عن العلماء هذا مُتَعَالِم، الذي يقتصِر على الكُتُب وقراءة الكُتُب هذا مُتَعَالِم، ما يكون عالِمًا مَنْ لا يُعْرَف مشايخه، لا بد يعرف مشايخه مَنْ هم ومِن أين أخذ العلم، العلم مثل النشر، والذي ليس له مشايخ هذا لقيط يُسَمُّونه لقيطًا، المسألة ما هي بسهلة، تلقِّي العلم ما هو بسهل، لابد مِن تَلَقِّي العلم عن العلماء المعروفين به المستقيمين عليه الذين يعملون به"**[١].

العلماء الأكابر ليسوا بمتلونين كما هو حال المتعالمون، في كل يوم لهم رأي، وكل يوم لهم مذهب، ويخالفون المسائل الكبار، فما كان بالأمس حراماً يصبح اليوم حلالاً، وما كان بدعة بالأمس يصبح سنة اليوم، وما كان كفراً بالأمس يصبح اليوم إسلاماً، وما كان شركاً بالأمس يصبح توحيداً اليوم، العلماء الأكابر ثابتون لا يتغيرون، لأن أصولهم ثابتة لا تتبدل.

٣- التربية المعتدلة: إن من أهم أسباب الانحراف الفكري هو غياب دور البيت، فمن الطبيعي أن يكون العلاج هو تفعيل هذا الدور الأساسي المهم، وعليه فإن القيام بحسن التربية والمراقبة وزرع الإسلام الصحيح وغرس قيمة الطاعة والاستقامة الدينية في قلوب الناشئة في مراحلهم العمرية الأولى، لها أثر كبير في تكوين شخص سليم الفكر والعقل، الأسرة عليها الدور الأكبر في تنشئة الأبناء على حب الوطن، وطاعة ولي الأمر، وغيرها من الأصول التي دعا إليها الدين، فالقصور في التربية على المنهج المستقيم من أسباب الانحراف الفكري، أو حتى التربية القاصرة التي تهتم فيها الأسرة بجانب وتترك فيها جوانب أخرى مهمة، مثل أن يهتم بجانب الدين ويهمل جانب

---

(١) موقع الشيخ حفظه الله، **https://cutt.us/LsPBX**

الأخلاق، كما هو شأن الخوارج الذين يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، كما جاء في الحديث: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(١). يكثرون من الصلاة والصيام وقراءة القرآن لكن لم ينفعهم ذلك، يحفظون النصوص الشرعية دون فهم لها أو تطبيق، قال عنهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، فلابد من الحرص على تنشئة النشء على الفهم الصحيح للنصوص الشرعية.

كذلك التركيز في التربية على جانب القسوة والشدة المنزوعة من الرحمة واللين والرفق فهذا أيضاً لا شك لها نتائج سلبية، وتقود إلى الانحراف الفكري، فالرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أو كذلك التركيز على الشكل الظاهري في التدين مع إهمال أسس الدين وقيمه وآدابه أو التربية على الحفظ دون الفهم كما وصفهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ، يَكْثُرُ الْقُرَّاءُ، وَيَقِلُّ الْفُقَهَاءُ**»(٢).

٤- تعليم الناس وتفقيههم بعواقب الانحراف الفكري: التوعية من خلال المدارس أو وسائل الاعلام بعواقب الانحراف الفكري جانب مهم وأساسي في المجتمع، فإن غياب الوعي بخطر الانحراف الفكري وعواقبه على دين الفرد وأمن المجتمع والجماعة، سواء من قبل الأسرة أو التعليم يساعد على ظهوره وانتشاره، ولهذا نبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على خطره على الفرد والجماعة ليظل الجميع على حذر ويتنبه الجميع على هذا التيار المنحرف فيحاربوه، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(٣)، علينا جميعاً أن نجتهد في بيان الآثار المدمرة التي تنتج من الانحرافات الفكرية على المجتمع، وعلى الجميع بيان حرمة المسلم على المسلم سواء دمه أو ماله أو عرضه في الإسلام، فإن غياب هذا الوعي يؤدي بلا شك إلى الاستهانة بأروح المسلمين وبأموالهم وأمنهم واستقرارهم، ولماذا تجرَّأ البعض بقتل المسلمين بدم بارد وكأنه بطل مقدام، قام بما لا يستطيع الكثير من الناس

---

(١) متفق عليه.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني برقم (٣٢٧٧).

(٣) رواه النسائي في سننه برقم (٣٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٦٨٠).

القيام به، إلا بسبب جهله بحرمة دم المسلم وماله وعرضه، ولذا يسهل على من كان هذا حاله من المنحرفين قتل أهل الإسلام، بل قتل قريبه وابن عمه، ووصل الأمر إلى أبيه وأمه، والمؤسف باسم الدين والعياذ بالله، وأي دين هذا نسأل الله السلامة والعافية! وهل يمكن لعاقل يريد الله والدار الآخرة أن يتعدى على المسلمين وينتهك حرماتهم باسم الدين والجهاد! أما سمع هؤلاء قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾، وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾. أين العقول؟! نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ بالله من الضلال، ومن العمى والجهل ومن التعصب والغلو.

٥- الاهتمام بتعليم حق ولاة الأمور وأهمية الالتفاف عليه: يجب وجوباً أن يعلم الناس أهمية لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وموالاتهم وإدراك عاقبة الخروج عليهم ، فإن من الأصول العظيمة التي أكد عليها الإسلام وأمر بها التزام جماعة المسلمين وعدم الاختلاف أو الخروج عليهم، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ**»(١)، وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بَايَعْنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ**»(٣).

يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**فإنَّ يدَ اللَّهِ معَ الجماعَةِ وإنَّ الشَّيطانَ معَ من فارقَ الجماعةَ يركُضُ**»(٤)، أمَرَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالحِفاظِ على وَحْدةِ أمْرِ المسلِمينَ؛ لأنَّها مَصدَرُ قُوَّتِهم وعِزَّتِهم، وتمزقها مصدر ضعفهم وذلهم وسبب في تكالب الأعداء عليهم.

هذا الكلام قد لا يعجب البعض وربما أراد البعض أن يحذف كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ عن طاعة ولاة الأمور من كتب السنة والعياذ بالله، لأنه يفضح مخططاتهم ويناقض كلامهم، وما ذاك إلا لتعصبهم وجهلهم وضلالهم، والمنحرفون فكرياً يلوون نصوص الكتاب

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢١٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٥٤٦).

(٤) رواه النسائي في سننه برقم (٤٠٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٦٢١).

والسنة لي، بحسب ما تقتضيه مصلحتهم أو بحسب ما يريده رؤوسهم، فوالله إن المنحرفون فكرياً من أسهل ما يكون عندهم لي الحقائق أو تشويهيا للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، أو أنهم يستبدلون الحقائق بغيرها من المفاهيم الخاطئة، وعندهم قدرة عجيبة على التضليل والخداع وكيفية غسل الأدمغة وخاصةً من فئة الشباب؛ ليجندوهم تحت إمرتهم ويقتادوهم إلى أماكن الفتن والحروب، فهم غرروا الشباب، ذهبوا بهم إلى المعارك والمهالك وهم توانوا، لم يذهبوا ، وبل لم يتركوا أبناءهم ليشاركوا بتلك الحروب، وهذا معروف ومشاهد ولا يمكن نكرانه، هؤلاء الضلال ذهبوا بالشباب السذج إلى أماكن الصراعات وهم تحت الفرش والملاءات في بيوتهم !

أليس الدين يأمرنا بالاستسلام لله ولرسوله؟ فهذا دين الله، أمرنا بطاعة الله ورسوله، وأمرنا بطاعة ولاة الأمر، والالتفاف حول الإمام، وأن لا ننزع يداً من طاعة، فلابد من طاعة الله ورسوله في كل الأحكام والأوامر، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»[1]، فمن أراد الجنة فليطع محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وليتلقى أوامره بالرضا والتسليم والانقياد دون أدنى كراهة أو شك، يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٨٠).

خطورة الانحراف الفكري:

المنحرف فكرياً لا يقتصر خطره على نفسه ، بل يعرض حياته وحياة مَن هم حوله إلى الخطر الشديد نتيجة لأفكاره المتطرفة والمنحرفة، وقد يلجأ إلى استخدام العنف والتشدد ضد الأشخاص المحيطين بالشخص المنحرف فكريًا، وكثيراً ما يتسبب المنحرف فكرياً بأضرار كبيرة على الممتلكات العامة والخاصة إذا لم يعالج موضوع الانحراف الفكري من جذوره.

لذلك ينبغي تربية النشأ تربية عقدية قوية، وترسيخ قضية التوحيد لديهم، حتى ينشأ الجيل قوياً ضد تيار الانحراف الفكري، ويكون ذلك منذ نعومة أظافرهم، حتى لا يقعوا فريسة لهذه الأفكار المنحرفة، والتركيز على بناء ضمير يقظ يستطيع الابن أو الابنة التمييز بين الصواب والخطأ، نعلمهم الطريق المستقيم ، الإسلام الحقيقي الذي لا اعوجاج فيه، لا غلو، ولا تفريط ولا افراط، نبين لهم الإسلام الحقيقي هو واحد ومن تمسك به نجا ومن ضل عنه ضل وغوى، الإسلام الذي أنزله الله على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ.

روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ قال: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَة، وسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّة عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصْحَابِي**».

فبيَّن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن أمته ستفترق على فرق كثيرة كلها في النار، واستثنى واحدة، وهي ما كانت على المنهج الصحيح؛ وهو ما كان عليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ وأصحابه.

حتى ينتبه على خطورة هذا الأمر، من الطبيعي أن يكون لكل فرقة من تلك الفرق التي أخبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰ آلِهِۦ وَسَلَّمَ في هذا الحديث أن لها كتبها الخاصة بها، لكل فرقة من تلكم الفرق لها قنواتها المسموعة والمرئية الخاصة بها، لهم علماءهم ودعاتهم الذين يدعون إلى منهجهم، لهم فتاوى خاص بهم، إذن فالنجاة من تلك الفرق ووسائلها ليس بالأمر الهين، وخاصةً مع الانفتاح الإعلامي الذي يعيش فيه العالم الآن، من السهل جدا أن تدخل سموم تلك الفرق داخل البيوت عبر التلفاز أو وسائل التواصل الحديثة سأسرع ما يكون! قد تنتشر البدعة الآن بوقت قصير من مشارق الأرض إلى مغاربها بضغطة زر وتقتحم البيوت والمنازل دون أن تفتح لها الأبواب ، تدخل البيوت رغماً عن الجميع من غير استئذان، وغالب حال الناس اليوم ليس لديهم حصانة عقدية تحميهم من التأثر تلك

الانحرافات، فوقع كثير منهم في شباك تلك الفرق المنحرفة، غالب حال الناس اليوم لا يقفون على أرض صلبة محصنة بالعقيدة السليمة، لأنهم انشغلوا عن تعلم العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة بالعلوم الدنيوية أو بالدنيا وملهياتها، فلذلك زلت أقدام كثير من الناس وتأثروا بتلك الفرق وانبهروا بها وظنوا أنها الحقة، فغرقوا في وحل البدع والضلالات، فأصبح الكثير منهم يرى الباطل حقاً، والحق باطلاً، والعياذ بالله.

أن الفِرْقةَ النَّاجيةَ الواحدة من بينَ هؤلاءِ الفرق الكثيرة الثلاث والثلاثون المذكورة بالحديث هي من التي ستَتَّبعُ مَنهَجَ النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ وأصحابِه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، وتَتمسَّكُ بالأمرِ الأوَّلِ الذي كانوا عليه في أُمورِ الدِّين والعَقيدةِ، فلا يأمَنَ المسلِمُ مِن الفِتنِ والانحراف، إلا إذا اعتصم بكِتابِه وبسُنَّةِ نبيّه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، والتزم الفرقة الوحيدة الناجية، وهم قلة، هم الغرباء لقلة عددهم، وطوبى للغرباء، طوبى لهم كما أخبر الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ؛ لأنهم ثبَتوا على الحقِّ حين انحرف كثيرٌ مِن الناس إلى الباطل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»(١).

قال السندي رَحِمَهُٱللَّهُ في حاشيته على سنن ابن ماجه: "**(غَرِيبًا) أَيْ لِقِلَّةِ أَهْله وَأَصْل الْغَرِيب الْبَعِيد مِنْ الْوَطَن (وَسَيَعُودُ غَرِيبًا) بِقِلَّةِ مَنْ يَقُوم بِهِ وَيُعِين عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ أَهْله كَثِيرًا (فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ، وَطُوبَى فُعْلَى مِنَ الطِّيبِ وَتُفَسَّرُ بِالْجَنَّةِ وَبِشَجَرَةٍ عَظِيمَة فِيهَا، وَفِيهِ تَنْبِيه عَلَى أَنَّ نُصْرَة الإِسْلام وَالْقِيَام بِأَمْرِهِ يَصِير مُحْتَاجًا إِلَى التَّغَرُّب عَنْ الأَوْطَان وَالصَّبْر عَلَى مَشَاقّ الْغُرْبَة كَمَا كَانَ فِي أَوَّل الأَمْر**"(٢).

وجاء في "فتاوى اللجنة الدائمة: "**معنى الحديث أن الإسلام بدأ غريباً حينما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إليه الناس إليه فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد، فكان حينذاك غريباً بغربة أهله، لقلتهم وضعفهم مع كثرة خصومهم وقوتهم وطغيانهم وتسلطهم على المسلمين، حتى هاجر من هاجر إلى الحبشة فراراً بدينه من الفتن وبنفسه من الأذى والاضطهاد والظلم والاستبداد، وحتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى إلى المدينة بعد ما ناله من شدة الأذى ما ناله رجاء أن يهييء الله له من يؤازره في دعوته، ويقوم معه بنصر الإسلام وقد حقق الله رجاءه فأعز جنده ونصر عبده وقامت دولة الإسلام وانتشر بحول الله في أرجاء**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٥).

(٢) (٢/٤٧٨).

الأرض وجعل سبحانه كلمة الكفر هي السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، واستمر الأمر على ذلك زمناً طويلاً، ثم بدأ التفرق والوهن ودب بين المسلمين الضعف والفشل شيئاً فشيئاً حتى عاد الإسلام غريباً كما بدأ، لكن ليس ذلك لقلتهم فإنهم يومئذ كثير، وإنما ذلك لعدم تمسكهم بدينهم واعتصامهم بكتاب ربهم وتنكبهم هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من شاء الله فشغلهم بأنفسهم وبالإقبال على الدنيا فتنافسوا فيها كما تنافس من كان قبلهم وتناحروا فيما بينهم على إمارتها وتراثها، فوجد أعداء الإسلام المداخل عليهم وتمكنوا من ديارهم ورقابهم فاستعمروها وأذلوا أهلها وساموهم سوء العذاب، هذه هي غربة الإسلام التي عاد إليها كما بدأ بها، وقد رأى جماعة –منهم الشيخ محمد رشيد رضا– أن في الحديث بشارة بنصرة الإسلام بعد غربته الثانية آخذين ذلك من التشبيه في قوله صلى الله عليه وسلم (وسيعود غريباً كما بدأ) فكما كان بعد الغربة الأولى عز للمسلمين وانتشار للإسلام فكذا سيكون له بعد الغربة الثانية نصر وانتشار. وهذا الرأي أظهر، ويؤيده ما ثبت في أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام آخر الزمان من انتشار الإسلام وعزة المسلمين وقوتهم ودحض الكفر والكفرة"[١].

وليعلم أن الإسلام ليس بدعوى، فتلك الفرق الاثنا عشر وما تفرق منهم من فرق، تدعي أنها على الحق وهي بعيدة كل البعد عن الحق، فَمِن تلك الفرق التي تنتسب إلى الإسلام مَن ضلّ في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته، ومن الفرق من ضلّ في باب الإيمان فأخرجوا العمل من الإيمان، ومنهم من ضلّ بإخراج مرتكب الكبيرة من الإسلام والحكم عليه بالخلود في النّار فضلوا من هذا الاعتقاد، ومن الفرق من ضلّ في باب القضاء والقدر، ومن الفرق من ضلّ في باب القرآن فقالوا: هو مخلوق، مع أنّ الصحيح أنّه كلام الله منزّل غير مخلوق، ومن الفرق من شككوا بالسنة وقالوا لا نأخذ إلا ما جاء بالقرآن والعياذ بالله، ومن الفرق من ضلّ في باب الصحابة فكفّروهم وسبّوهم قبحهم الله.

هؤلاء وغيرهم من الفِرَق التي انحرفت عن الإسلام وابتدعت في دين الله كل فرقة بما لديهم فرحون، وسلكوا سبُل الشيطان كما أخبر الله في كتابه: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/٢٤٩).

فعلى المسلم الذي يريد مرافقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ في الجنة؛ أن يتمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، وأن يحذر من اتباع الهوى والابتداع في الدين، وأن يرجع إلى العلماء الربانيين فيما أشكل عليه، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، وكما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بقوله: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧].

والمسلم يحرص على الثبات على الطريق المحمدي حتى الممات، هو الطريق المستقيم الذي أمرنا الله أن نبقى عليه إلى أن يتوفانا الله، كما أمرنا بذلك بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. فالشبة خطافة والفتن كثيرة والقلوب ضعيفة، الحي مادامت روحه باقية في جسده عليه أن يخاف من الانحراف، وعليه أن يكثر من دعاء الله بالثبات حتى الممات، وكان أكثر دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(١)، فإذا كان هذا حاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ فما عسانا أن نقول؟! فكم من إنسان كان يصلي ويصوم فاصبح ملحداً، وكم من إنسان كان على الطريق السوي فانجرف وراء فرقة من الفرق ففجر نفسه، كل يوم نسمع هذا قال كلمة تخالف العقيدة، وهذا يشكك في السنة، وهذا يطعن في الرسول، وهذا يشكك في أدلة الحجاب، وهذا ينادي بالمثلية، وهذا يحلف بغير الله، وهذا يطوف حول قبور الأولياء، والله المستعان.

اللهم سلم اللهم سلم، تمسكوا بالسنة، قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**السُّنَّةُ سَفِينَةُ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ**"(٢).

ومن فضل الله على العباد أن أمرهم أن يسألوه في كل صلاة أن يهديهم إلى الصراط المستقيم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ولَمَّا أمَرَنَا اللهُ سبحانَهُ أَنْ نسألَهُ في كُلِّ صَلاةٍ أَنْ يَهدينا الصِّراطَ المُستَقِيمَ، صِراطَ الذين أَنعَمَ اللهُ عَليهم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ المغايرينَ للمغضوبِ عليهِم وللضَّالِّينَ، كَانَ ذَلكَ مما يُبيِّنُ أَنَّ العبدَ يُخَافُ عَليهِ أَنْ يَنحَرِفَ إلى هَذينِ الطريقينِ**"(٣).

---

(١) رواه الترمذي في سننه برقم (٢١٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٤٨٠١).

(٢) ذم الكلام وأهله للهروي (٥/٨١).

(٣) مجموع الفتاوى (١/٦٥).

الخاتمة:

قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الِاسْتِقَامَةُ هِيَ الْعَمَلُ بِكَمَالِ الشَّرِيعَةِ بِحَيْثُ لَا يَنْحَرِفُ عَنْهَا قِيدَ شِبْرٍ**"[1].

الوسطية والاعتدال من أبرز خصائص أهل السنة الجماعة التي تميزهم عن غيرهم، فالنجاة في الاستقامة على المنهج الصحيح دون انحراف، أو إفراط أو تفريط، وبين الله العاقبة الحميدة للاستقامة بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أَيْ: أَخْلَصُوا الْعَمَلَ لِلَّهِ، وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا شَرَعَ اللَّهُ لَهُمْ**"[2].

ولا يكون الإنسان على طريق الاستقامة حتى تكون إرادته وأعماله وأقواله، وفق ما شرعه الله، وعلى سُنَّة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢] فقال: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾، ولم يقل: كما أردت، الدين ليس بالهوى، الدين قال الله وقال رسوله وقال الصحابة أولوا العرفان.

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الاستقامة هي: الثبات على الحقّ، والاستمرار عليه، يقول: ربنا الله ويستقيم، وليس مَن قال: ربي الله، ثم ترك الواجبات، وركب المحارم بالمستقيم، فالذي يقول: ربي الله، ويقول: لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم يتعاطى الفواحشَ من: الزنا والسَّرقات وظلم الناس وشرب المسكرات، هذا ليس بمستقيمٍ، هذا على خطرٍ عظيمٍ من دخول النار، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: ثم استقاموا على طاعته وترك معصيته، هذه هي الاستقامة: ترك ما نهى الله عنه، وأداء ما أوجب الله**"[3].

نسأل الله أن يجعلنا من الذين استقاموا، وأن نبشر بالجنة كما وعد الله تعالى، التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ونسأله سبحانه الله أن يهدينا سواء السبيل،

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/١٧٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/١٧٥).

(٣) موقع الشيخ رحمه الله، https://cutt.us/Jk8DC

وأن يثبتنا على الدين القويم، وأن يعيذنا وذرياتنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.